تحيّة للجزائر

عارف الريّس

كثير من الرسامين يتبع مدرسة معينة في الرسم ، اما عارف الريس فقد عاش مدارس الرسم كلها تقريبا ، دون ان يتقيد باحداها : فهو يتنقل من مدرسة الى اخرى وكأنه يطير في حقل يختار فيه الشجرة التي تعجبه ليحط عليها ، محتفظا دوما بشخصيته وقوة تعبيره التي تطبع كافة لوحاته . وان كان قد خرج عن التقيد بالمدارس مختارا لنفسه الطريقة التي يحسها للتعبير عن فكرته ، فلأنه لا يرى في الرسم هدفا بحد ذاته ، بل وسيلة للتعبير عن صراع فكري داخلي وفلسفة حياتية كاملة . يقول : « المدارس في الفن تحديد لنهاية الخط . فهي نقطة ارتكاز وليست نقطة انطلاق . الطبيعة هي النبع الوحيد الذي نستطيع ان نغرف منه ، وهكذا يخلق فن وتنحدر مدرسة . والخلق هو ان يجد الفنان عالمه بالعمل المتواصل ، مجتهدا لتحقيق جعبة غنية بالمعرفة ، نتيجة الدراسة المشبعة الواعية التي تتبلور فيما بعد بالتفهم الصحيح للاسس والقواعد والاصول المرتكزة عليها القيم الفكرية السليمة . فالفكر يعجز ويتشوه كالجسد ان لم يرعه الانسان ويغذه تباعا بالرياضة والغربلة . »

وسألته : ما هي الاسس التي تعتمدها في طريقتك الجديدة التي تدعوها باللاشكلية ؟ واجاب : « الفكرة . وحيث تذهب فكرتي تذهب ريشتي . الموضوع في الرسم اللاشكلي صيغة تتجاوب مع حرية الخلق ، لحاقاً للفكرة الصورية التي ينسجها خيال الفنان وفقا للزمان والمكان ومشاكل المجتمع ، والتي تسترعي اهتمامه وتشغل نفسه ووعيه وضميره في حاضره . »

واشرت الى ان بين لوحاته مجموعات تعالج كل واحدة منها فكرة معينة ، وان ابرز هذه مجموعة صوره عن الجزائر . وسألته ان كان لا يرى ان على الفنان ان يخرج عن نطاق المواضيع المحددة ليعالج مواضيع اكثر شمولا ، فقال : « الانسان في مجتمعاته وظروفه القاسية ، كما هو الحال في الجزائر ، شغل قسما كبيرا من وقتي ، وليست هذه المجموعة الا تعبيرا عن الرغبة الجامحة التي كانت تجيش في صدري للمشاركة في تحقيق الحرية للشعب الجزائري . »

عفيف الرزاز